

كَلِيبَةُ التَّرْبِيبَةِ لِلبَنَاتِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ

دورية فصلية

تصدر عن كلية التربية للبنات

Iraqi University  
COLLEGE OF EDUCATION  
FOR WOMEN JOURNAL

**جهة الإصدار: كلية التربية للبنات / الجامعة العراقية اختصاص المجلة:**

**العلوم الإنسانية والتربوية**

ISSN 2708-1354 (Print)

**ISSN 2708-1362 (Electronic)**

رقم الاعتماد في دار الكتب والوثائق العراقية 2138 لسنة 2016م نوع الإصدار:

(فصلي) كل ثلاثة أشهر.

نطاق التوزيع: داخل العراق البريد الإلكتروني:-

[wom.mag.uni@aliraqia.edu.iq](mailto:wom.mag.uni@aliraqia.edu.iq)

هاتف سكرتارية التحرير: 07747936814 (الهاتف الأرضي) داخلي: (2028)

مجلة كلية التربية للبنات - الجامعة العراقية ، المجلات الأكاديمية المحكمة:

<https://www.iasj.net/iasj/journal/349/issues>

- حقوق النشر محفوظة.
- الحقوق محفوظة للمجلة.
- الحقوق محفوظة للباحث من تاريخ تسليم البحث إلا في حالة تنازله الخطي.

ما ينشر في المجلة من بحوث ووجهات نظر تعبر عن أصحابها  
ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير أو وجهة نظر الكلية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة العراقية

كلية التربية للبنات

مَجَلَّة

كَلِيَّةُ التَّرْبِيَةِ لِلبَنَاتِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ

تَصَدَّرُ عَنْ كَلِيَّةِ التَّرْبِيَةِ لِلبَنَاتِ

فصلية دورية

العدد الحادي والثلاثون (31) الجزء الثاني (2)

الصادر بتاريخ: 15/كانون الأول/2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ۙ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۙ ۝٢ خَلَقَ

الْإِنْسَانَ ۙ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۙ ۝٤

سورة الرحمن: الآيات ١ - ٤

## أولاً : المشرف العام

الأستاذ الدكتور هدى محمد صالح عبد الجبار / اللغة العربية / قسم اللغة العربية / عميدة الكلية

## ثانياً : رئيس هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور رنا صميم صديق / فلسفة إسلامية / أصول الفقه / معاونة العميد للشؤون العلمية

## ثالثاً : مدير التحرير:

الأستاذ الدكتور أحمد عبد الجبار فاضل/ اللغة العربية / البلاغة والنقد/ قسم اللغة العربية

## رابعاً : أعضاء هيئة التحرير:

١. أ.د. مولود عويمر: تخصص التاريخ / جامعة الجزائر / كلية العلوم الانسانية .....عضواً خارجياً.
٢. أ.د. ابراهيم عبد الرحيم أحمد رابعة: تخصص أصول فقه / جامعة الوصل / كلية الدراسات الاسلامية/ الإمارات العربية ..... عضواً خارجياً.
٣. أ.د. بو منجل عبد الملك : تخصص اللغة العربية/ النقد الحديث/جامعة سطيف، الجزائر/ كلية الآداب واللغات ..... عضواً خارجياً.
٤. أ.م.د. نجاه موسى الفيتوري / تخصص: تربية وعلم نفس/علم نفس تعليمي/ الجامعة الأسمرية الإسلامية / كلية التربية / ليبيا ..... عضواً خارجياً
٥. أ.م.د. نجاح عبدالله احمد البياع / تخصص: الدراسات الإسلامية / الدعوة والثقافة الإسلامية/ جامعة الأزهر / كلية أصول الدين / مصر ..... عضواً خارجياً.
٦. أ.د. سوسن صالح عبدالله : تخصص: اللغة الانكليزية/الترجمة .....عضواً ومدققاً للغة الإنكليزية
٧. أ.د. بشرى غازي علوان / تخصص: اللغة العربية / اللغة.....عضواً
٨. أ.د. نهلة عاشور منسي / تخصص: فلسفة إسلامية / الفقه الإسلامي .....عضواً
٩. أ.د. محمود دهام نايف / تخصص: أصول الدين / الحديث النبوي .....عضواً
١٠. أ.د. ليث خليل خلف / تخصص: تاريخ / التاريخ القديم .....عضواً
١١. أ.م.د. وصال كاظم حسين : تخصص: اللغة العربية / البلاغة والأدب .....عضواً
١٢. أ.م.د. أسيل عبد الحميد عبد الجبار / تخصص: علم النفس التربوي.....عضواً
١٣. أ.م.د. جنان عبدالله شفيق / تخصص: اللغة الإنكليزية / الأدب .....عضواً
١٤. أ.م.د. ذكرى فاضل محل / تخصص: طرائق التدريس / التاريخ .....عضواً

١٥. أ.م.د سماح ثائر خيري / تخصص: رياض اطفال ..... عضواً
١٦. أ.د. يونس يحيى عبدالله / تخصص: اللغة العربية / اللسانيات النصية..... عضواً ومدققاً لغوياً.
١٧. أ.م. سيناء احمد جار الله / تخصص: دراسات مالية / ادارة مالية ..... عضواً ومحاسباً مالياً.

### خامساً : موظفو المجلة

١. م.م. مروة مرزا حمزة / تخصص : تاريخ / مسؤولة وحدة المجلة .
٢. براء إبراهيم سالم / سكرتيرة المجلة .

قائمة المحتويات - العدد (٣١) الجزء الثاني 15/ كانون الأول/2025- البحوث المحكمة

ت	اسم البحث	الباحث	الصفحة
.٣٣	هذه رسالة الحذيفة لأبي سعيد محمد الخادمي (ت ١١٧٦هـ) - دراسة وتحقيق -	أ.د. بشرى أحمد محمد أمين	٧١٢-٦٦٤
.٣٤	الارهاق المهني وعلاقته بالتفكير التعاطفي لدى المرشدين التربويين	ا.م.د. محمد خضير محمود	٧٣٨-٧١٣
.٣٥	الرواية النوبية في ضوء النقد البيئي رواية (دنقلا) لعلي إدريس أنموذجا	م. د. غادة جمال مكّي	٧٥٩-٧٣٩
.٣٦	أثر برنامج ارشادي بأسلوب العلاج بالقبول والالتزام في خفض القمع العاطفي لدى طالبات الصف الرابع الاعدادي	م.د. اسراء كريم خليفة	٧٨٦-٧٦٠
.٣٧	نَتَاجُ الشُّعْرَاءِ مِنْ سَبْرَتِهِمْ (العَصْرُ العَبَاسِيّ) مِثَالاً	م. د. صلاح راهي إبراهيم	٨١٦-٧٨٧
.٣٨	اثر استراتيجية سكامبر في تنمية التحصيل الدراسي لدى طلبة قسم معلم الصفوف الأولى بمادة التربية الفنية	م.د. علي جبار محمد	٨٤٣-٨١٧
.٣٩	رؤية موجزة للدولة الخوارزمية في كتاب عفاف سيد صبرة التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية	م.م اسراء محسن عبد الواحد	٨٦٢-٨٤٤
.٤٠	قراءة في كتاب: مصرع الخلافة العثمانية لفهمي الشناوي	م.م اسيل هشام محمد	٨٨٥-٨٦٣
.٤١	آية الإذن بالقتال دراسة تفسيرية وتحليلية	م . م . آلاء صباح شكر	٩٠٩-٨٨٦
.٤٢	موقف عصابة الأمم من لواء الاسكندرونة	م.م. إيمان نعيم عرد	٩٢٦-٩١٠
.٤٣	واقع استخدام تكنولوجيا المعلومات وعلاقتها بمهارات التدريس لدى المعلمين	م.م ايناس اسماعيل شحاذه المشهداني	٩٤٩-٩٢٧
.٤٤	المستشرق وليم موننجومري وات وكتابه فضل الاسلام على الحضارة الغربية (العلوم العقلية انموذجا)	م.م. تغريد عبد الجواد عبد حاشوش	٩٧٤-٩٥٠
.٤٥	مجلة الزراعة العراقية عام (١٩٤٦- ١٩٥٨م) دراسة تاريخية	م.م. حسين علي حسين خليل	١٠٠٢-٩٧٥
.٤٦	الدرس الصوتي في الثلث الأخير من القرآن الكريم : دراسة لغوية دلالية سورة الحشر أنموذجا	م.م. زينب صالح مهدي هاشم	١٠٢٤-١٠٠٣
.٤٧	دراسة تحليلية مقارنة في تفسير سورة المائدة(من الآية (٢٤ إلى ٣١) انموذجا)	م.م سعدة طعمة محسن علي	١٠٤٦-١٠٢٥
.٤٨	(( أثر طريقة السياق المجتمعي في تحصيل طلاب الصف الاول الاسلامي في مادة العلوم))	م.م. عادل عبد اللطيف احمد القيسي	١٠٥٧-١٠٤٧
.٤٩	الإحالة وأثرها في تماسك النص القرآني، دراسة تحليلية في سورة غافر (قصة مؤمن آل فرعون أنموذجا)	م.م. عمر منذر خضير	١٠٨٤-١٠٥٨

١١٠٠-١٠٨٥	م.م. فاطمه الزهراء خليل ناصر أ.م.د. رافد جهاد عبدالله	٥٠. دلالة الشمس والقمر في شعر ابن خفاجة الأندلسي
١١٢٢-١١٠١	م.م. فرح عبد الصاحب سلمان	٥١. الآراء العقيدية للرازي في تفسيره الكبير
١١٤٣-١١٢٣	م.م. عمار ثامر هزبر ديمي	٥٢. ما نُسب إلى المبرد وفي المقتضب ما يُعارضه
١١٧٣-١١٤٤	سحى فوزي كاظم أ.د. إيمان عبد الكريم ذيب	٥٣. قياس التفكير البصري لدى تلامذة المرحلة الابتدائية
١٢٠١-١١٧٤	غفران قاسم سايط أ.د. سرى طه ياسين	٥٤. الفنون البلاغية في كتابي المرزباني (ت ٣٨٤هـ) والسيوطي (ت ٩١١هـ)
١٢٢٥-١٢٠٢	عُلا حسين عبدالله أ.د. صالح احمد رشيد	٥٥. نسق الفحولة والأنوثة والزمكان في شعر قبيلة مذحج
١٢٤٠-١٢٢٦	محمد أمير عباس أ.د. علي زيدان خلف	٥٦. النسق القرابي لمجتمع الاميش دراسة انثروبولوجية في ولاية اوهايو الامريكية
١٢٥٤-١٢٤١	فريال عزيز عليوي أ.د. علي زيدان خلف	٥٧. النظام الاقتصادي وتأثيره على السياسة المالية دراسة في الانثروبولوجيا الاقتصادية
١٢٧٢-١٢٥٥	مريم عبدالناصر طلال أ.د. ضياء مزهر خريبط	٥٨. <b>The Correlation between Iraqi EFL University Students' Writing Self-Regulated Strategies and Performance</b>
١٢٩٨-١٢٧٣	كواكب محمد كحيط عبد الله أ.م.د. هدى هشام اسماعيل	٥٩. أبنية الأفعال من حيث التجرد والزيادة في شعر المرّار الفقعسي (ت ٧٥ هجرية)
١٣٢٣-١٢٩٩	د. اسامة عبد حمدي	٦٠. <b>Exploring Themes, Characters, and Social Criticism in Arthur Miller's All My Sons: A Comprehensive, In-Depth Analysis</b>
١٣٤٨-١٣٢٤	د. آدم عبد الشافع سليمان بخت د. جمال الدين إبراهيم عبدالرحمن أحمد أ.د. محمد أحمد الأمين أحمد	٦١. ظاهرة زيادة حروف المعاني في شعر شعراء المعلقات السبع
١٣٨٢-١٣٤٩	م. عماد إبراهيم فزع الجميلي	٦٢. الشخصية الإيجابية وعلاقتها بمفهوم الذات لدى طلبة المرحلة المتوسطة
١٤٠١-١٣٨٣	د. اسامه ماجد سلمان صالح	٦٣. رمز الخمر في شعر الحارث بن بدر الغُداني
١٤٢٩-١٤٠٢	رئيس أبحاث أقدم: وفاء ضياء محمد	٦٤. التصوف ورجالاته وأبرز مراكزه في العراق من القرن الثالث الهجري الى القرن السادس الهجري - دراسة تاريخية

### التعريف:

مجلة علمية دورية محكمة فصلية تصدر عن كلية التربية للبنات الجامعة العراقية

تحمل الرقم الدولي:

ISSN (print): 2708 – 1354 ISSN (online): 2708 – 1362

مجلة معتمدة في دار الكتب والوثائق العراقية بالرقم: (2138) لسنة 2016م

وتقوم بنشر البحوث العلمية القيمة والأصيلة

في مجالات العلوم الإنسانية المختلفة باللغتين العربية والإنجليزية.

### دعوة:

ترحب هيئة تحرير المجلة بإسهامات الباحثين، وأصحاب الأقلام من الكتاب والمتقنين في أقسام الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية، والاجتماعية، والتعليمية والتربوية، وكل ما له صلة بشؤون المرأة والمجتمع، وقضايا الإنماء التربوي والتعليمي، والبرامج التطويرية المعاصرة على وجه العموم ، على وفق قواعد النشر المعتمدة من هيئة تحرير المجلة ، على وفق تعليمات وضوابط النشر في المجالات العلمية الصادرة من دائرة البحث والتطوير في وزارة التعليم والبحث العلمي الموقرة.

## ضوابط النشر في المجلة

١. تتخصص المجلة بنشر الحوث العلمية القيمة والأصيلة في المجالات الإنسانية، والتي لم يسبق نشرها أو تقديمها إلى أي جهة أخرى (بتعهد خطي من صاحب البحث) ضمن المحاور المشار إليها في التعريف أعلاه، شرط الالتزام بمنهجية البحث العلمي وخطوات المتعارف عليها محلياً وعالمياً، وتقبل البحوث بإحدى اللغتين العربية أو الانجليزية بنسبة محددة.
٢. تخضع البحوث المرسلة إلى المجلة جميعها لفحص أولي من هيئة التحرير لتقرير مناسبتها لتخصص المجلة، ثم لبيان أهليتها للتحكيم، ويحق لهيئة التحرير أن تعتذر عن قبول البحث بالكامل، أو تشترط على الباحث تعديله بما يتناسب وسياسة المجلة قبل إرساله إلى المحكمين.
٣. ضرورة تحقق السلامة اللغوية مع مراعاة علامات الترقيم، ومتانة الأسلوب ووضوح الفكرة علل أن يكون الباحث مسؤولاً عن السلامة اللغوية للبحث المقدم باللغتين العربية والإنجليزية.
٤. ترسل البحوث المقبولة للتحكيم العلمي السري إلى خبراء من ذوي الاختصاص قبل نشرها، للتأكد من الرصانة العلمية والموضوعية والجدة والتوثيق على وفق استمارة معتمدة ولا تلتزم هيئة التحرير بالكشف عن أسماء محكميها، وترفض البحوث المتضمنة في خلالها إشارات تكشف عن هوية الباحث.
٥. لضمان السرية الكاملة لعملية التحكيم تكون المعلومات الخاصة بهوية الباحث أو الباحثين في الصفحة الأولى من البحث فحسب.
٦. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات الجوهرية المقترحة من المحكمين للبحث.
٧. يحق لهيئة تحرير المجلة رفض البحث واتخاذ القرار وعدم التعامل مع الباحث مستقبلاً عند اكتشافها ما يتنافى والأمانة العلمية المطلوبة بعد التثبت من ذلك.
٨. تنتقل حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول للنشر، ولا يجوز النقل أي عن البحث إلا بالإشارة إلى مجلتنا، ولا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشره في كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد أن يحصل على موافقة خطية من رئيس التحرير.
٩. لا تدفع مكافأة للباحثين عن البحوث المحكمة التي تقبل للنشر في المجلة وتقدم رئاسة هيئة التحرير مكافأة خاصة للمحكمين.
١٠. تعتمد المجلة آلية التوثيق المتنوعة فتقبل البحوث بآلية التوثيق بالهوامش سواء أكان في نفس الصحيفة، أم في نهاية البحث، كما تقبل البحوث بآلية التوثيق في المتن بالطريقة

المتعارف عليها عالمياً بـ APA.

١١. تقبل المجلة كذلك البحوث الميدانية أو العملية، شرط أن يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومدى الحاجة إليه، ومن ثم يحدد مشكلة البحث في هيئة مساءلات أو فرضيات، ويعرف المفاهيم والمصطلحات، ويقدم، عندها قسماً خاصاً بالإجراءات يتناول فيه خطة البحث ومجتمع والعينات والادوات، فضلاً عن قسم خاص بالنتائج ومناقشتها، ويورد أخيراً قائمة المراجع.

١٢. لا يجوز نشر أكثر من بحث للباحث في العدد الواحد من المجلة سواء أكان بحث منفرداً أم مشتركاً مع باحث آخر.

١٣. يزود صاحب البحث- عند نشره- بنسخة واحدة مستلة مختومة من البحث المنشور في العدد.

١٤. تحتفظ هيئة التحرير بحقها في أولوية النشر في كل ما يرد إليها من مطبوعات، تأخذ بنظر الاعتبار توازن المجلة، والأسبقية في تسليم البحث معدلاً بعد التقويم، واعتبارات أخرى، ويخضع ترتيب البحوث في العدد الواحد للمعايير الفنية المعتمدة في خطة التحرير.

١٥. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير أو رأي الكلية.

١٦. جميع المراسلات المتعلقة بالمجلة كافة تكون باسم رئيس التحرير، أو مدير التحرير عبر العنوان البريدي: wom.Mag.uni@aliraqia.edu.iq، أو رقم هاتف المجلة.

١٧. أخيراً تؤكد هيئة التحرير على ضرورة الالتزام بالبحث الموضوعي الحر والهادئ والبعيد عن كل أشكال التهجم أو المساس بالرموز والشخصيات، وتتنأى عن نشر الموضوعات التي تمس المقدسات، أو تلك التي تدعو إلى العصبية الفئوية والطائفية، وكل ما يوجب الفرقة ويهدد السلم المجتمعي.

## دليل المؤلف Author Guidelines

١. يقدم الباحث طلب خطي (استمارة رقم 1 المرفقة) مختوم بالختم الرسمي لجهة الانتساب .
٢. يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية مطبوعة مكبوسة على ورق (A4) وعلى وجه واحد، وتكون إعدادات حواشي الصفحة 5.2 سم من كل جانب بخط (Simplified Arabic) بحجم 14 للمتن و 12 للمهامش، و16 غامق للعنوان الرئيسي و 15 غامق للعنوان الفرعي. وإذا كان البحث باللغة الانجليزية فيكون بخط (Times New Roman) .
٣. لا يزيد البحث عن خمس وعشرين صفحة ، ويكون من ضمنها المراجع والحواشي والجداول والأشكال والملاحق. ويتحمل الباحث ما قيمته ثلاثة آلاف دينار عن كل صحيفة زائدة.
٤. يوقع الباحث التعهد الخاص بكون البحث لم يسبق نشره، ولم يقدم للنشر الى جهات أخرى، ولن يقدم للنشر في الوقت نفسه حتى انتهاء إجراءات التحكيم (استمارة رقم 2).
٥. يلتزم الباحث بتقديم نسخة من كتاب الاستلال الإلكتروني للبحث وبخلافه يتعذر النشر.
٦. يتعهد الباحث بجلب نسخة إلكترونية من البحث على قرص حاسوب (CD) بعد إجراء جميع التعديلات المطلوبة وقبول البحث للنشر في المجلة.
٧. يرفق مع البحث خلاصة دقيقة باللغتين العربية والانجليزية على ألا تزيد على صحيفتين مع السيرة الذاتية.
٨. يسدد الباحث أجور النشر والخبراء بحسب مقدارها بكل لقب علمي على وفق المنصوص عليه في الكتب الرسمية ، ويتم تسليم الاجور الى الجهة الرسمية في القسم المالي للكلية بوصولات رسمية تحفظ حق الباحث وادارة المجلة ، ولا تسترد الاجور في حالة رفض رئيس التحرير او المقيمين للبحث المقدم لأسباب علمية او لسلامة الفكرية او غيرها.
٩. يستلم الباحث إيصالاً خطياً بتاريخ تسليم البحث. ثم يُعلم بالإجراءات التي تمت.
١٠. إذا استخدم الباحث واحدة من أدوات البحث في الاختبارات أو جمع البيانات فعليه أن يقدم نسخة كاملة من تلك الأداة اذا لم تنشر في صلب البحث أو ملاحق .
١١. تلتزم المجلة بإرسال البحث الى مقومين بخطاب تأليف، استمارة رقم 3 المرفقة ، على أن يتم تقويم البحث في مدة أقصاها ١٠ أيام، وبخلافه يقدم الخبير اعتذاره في أسبوع، وعندما يكون التقويم العلمي ايجابياً باتفاق اثنين من المقومين يحال البحث إلى المقوم اللغوي لتدقيقه لغوياً.

## دليل المقوم Reviewer Guidelines

أدناه الشروط والمتطلبات الواجب مراعاتها من قبل المقوم للبحوث المرسلة:

١. يقوم البحث على وفق استمارة معتمدة للتقويم (استمارة رقم 4) تتضمن الآتي:

أ- فقرة تتعلق بموضوع البحث هل سبقت دراسته من قبل بحسب علمكم؟ وهل يوجد اقتباس حرفي؟ (الإشارة إلى الاقتباس إن وجد) أو استلال مع تحديد مكان الاستلال.

ب - جدول تقويمي فني تفصيلي يعبر عنه بـ (24) فقرة محددة صيغت على وفق مقياس ليكرت الثلاثي: جيد (3)، مقبول: (2)، ضعيف: (1) ويقوم الخبير بالتأشير على اختيار واحد منها تبعاً لقناعته بمحتوى الفقرة وعدم ترك أي فقرة بدون إجابة.

ت - مكان محدد لملاحظات الخبير الخاصة بتفاصيل البحث، أو أساسيات العامة (علمية أو منهجية) كي يستفيد منها الباحث.

ث - خلاصة التقويم المتعلقة بصلاحية النشر على وفق ثلاث خيارات (صالح للنشر أو صالح بعد إجراء التعديلات، أو غير صالح للنشر) على وفق المعايير المحددة في الاستمارة.

ج - مكان محدد لتثبيت مسوغات عدم الصلاحية للنشر إذا حكم بذلك.

٢. على المقوم التأكد من تطابق وتوافق عنوان الخلاصتين العربية والإنجليزية لغوياً.

٣. أن يبين المقوم هل أن الجداول والأشكال التخطيطية الموجودة واضحة ومعبرة.

٤. أن يبين المقوم هل أن الباحث اتبع الأسلوب الإحصائي الصحيح.

٥. أن يوضح المقوم هل أن مناقشة النتائج كانت كافية ومنطقية.

٦. على المقوم تحديد مدى استخدام الباحث المراجع العلمية.

٧. يمكن للمقوم أن يوضح بورقة منفصلة التعديلات الأساسية لغرض قبول البحث.

٨. توقيع الخبير على الاستمارة تمثل تعهداً خطياً بأنه قام بتقويم البحث علمياً على

وفق المعايير الموضوعية، وإن البحث يستحق التقويم الحاصل عليه ومطلوب تسجيل

اسمه على وفق ما مثبت في الاستمارة.

## افتتاحية العدد...

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ ، وعلى آله  
وصحبه تسليماً كثيراً...  
أما بعد...

يولّد عدد جديد من مجلة ( كلية التربية للبنات / الجامعة العراقية )  
يحمل الرقم 31 ، الواحد والثلاثين ، بتاريخ 2025/12/15 ، يحوي بحوثاً  
متنوعة بين لغوية وأدبية وتربوية ونفسية وتاريخية واجتماعية ، وبحوث اللغة  
الإنكليزية ، ليكون العدد منهداً للباحثين والدارسين والقراء عموماً ، يروي  
عطش المعرفة وحب العلم والتميز .

وفي هذا الإطار تؤكد إدارة المجلة حرصها على أن تكون البحوث  
المنتخبة في المجلة مثمرة للمجتمع والإنسان العراقيين ، وأن تلتزم بمبادئ  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتعليماتها ، في نوعية الموضوعات التي  
تعالجها ، واسهامها المباشر في تنمية المجتمع العراقي والارتقاء به في سلم  
العلم والمعرفة .

نسأل الله السداد والتوفيق للباحثين والقراء ، ونسأله تعالى السداد لنا  
في عمل تحرير المجلة ، وأن يكون العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ويكون لبنة  
في البناء المعرفي والعلمي لكليتنا الرصينة ، وخطوة نحو التقدم والازدهار  
العلمي لعراقنا الحبيب ، ومن الله التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله  
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



مدير تحرير المجلة

أ.د. أحمد عبد الجبار فاضل

شتاء 2025/12/15

**قراءة في كتاب: مصرع الخلافة العثمانية لفهمي الشناوي**

م.م اسيل هشام محمد

## المستخلص

يُعدّ الدكتور فهمي الشناوي من أبرز المفكرين الذين تناولوا قضايا التاريخ العربي الإسلامي بجرأة وعمق تحليلي، إذ لم يقتصر على السرد التاريخي بل انفتح على البعد السياسي والفكري. ويُعد كتابه "مصرع الخلافة العثمانية" نموذجًا لذلك، فهو لا يكتفي بالتأريخ للأحداث، بل يكشف الأبعاد السياسية والإعلامية للمؤامرات الصهيونية والإمبريالية التي استهدفت الخلافة الإسلامية أكثر من استهدافها للعثمانيين أنفسهم. وقد سعى الشناوي إلى إبراز الإيجابيات التي اتسمت بها الدولة العثمانية، في مقابل الدراسات التي ركزت على سرد السلبيات وتجاهلت إنجازاتها. ويأتي هذا البحث كدراسة تحليلية تستقصي أفكار الكتاب، وتنظم محاوره في عناوين واضحة، مع توثيق آراء باحثين آخرين توافق ما طرحه المؤلف.

**الكلمات المفتاحية : مصرع - الخلافة - العثمانية - فهمي الشناوي**

## Abstract

Dr. Fahmy El-Shinnawi is one of the most prominent thinkers who addressed issues of Arab-Islamic history with boldness and analytical depth. He went beyond mere historical narration, but also opened up to political and intellectual dimensions. His book, "The Death of the Ottoman Caliphate," is a model of this. It does not merely chronicle events, but also reveals the political and media dimensions of the Zionist and imperialist conspiracies that targeted the Islamic Caliphate more than the Ottomans themselves. El-Shinnawi sought to highlight the positive aspects of the Ottoman Empire, contrasting studies that focused on chronicling its negative aspects and ignored its achievements. This research is an analytical study that explores the book's ideas, organizing its themes into clear headings, and documenting the views of other researchers that agree with the author's arguments.

**Keywords: Death – Caliphate – Ottoman – Fahmy El-Shenawy**

## المقدمة:

عُرف عن الدكتور فهمي الشناوي أنّه من أهم من يكتب ويعالج مشكلات التاريخ العربي الإسلامي، وهو يتصف بالجرأة في المواضيع التي يعالجها، من أهم كتبه: الفقه الإسلامي، المسلمون وعقدة التكنولوجيا، المؤامرة على إسقاط الخلافة العثمانية.

أما كتابه (مصرع الخلافة العثمانية) فلم يكن للتأريخ فقط، بل إنه كتاب في السياسة والتحليل

السياسي.

لذلك فإن هذا الكتاب ينأى صاحبه بنفسه عن تزوير التاريخ وتحريفه كما يرى، ويتوجه إلى التأريخ الحقيقي الصادق، ويبين الكتاب أن البحر الزاخر من الإعلام الصهيوني والإمبريالي ضد الدولة العثمانية لم يكن يقصد العثمانيين بالذات، وإنما قصد الخلافة ذاتها كنظام إسلامي وكدولة للإسلام، فصوروا العثمانيين كقوم طغاة وجهلة وسفاكين للدماء ومرتشين.

ومن هذا المنطلق فإن الشناوي نوى أن يكتب تحليلاً سياسياً يكشف من خلاله عورة الزحف الصليبي والصهيوني الذي يواصل الحروب الصليبية الأولى منذ ألف عام، فهذه مجمل رؤى المؤلف وانطباعاته، وسيظهر الكثير منها خلال تحليل كتابه.

وهذا البحث دراسة استقصائية لهذا الكتاب الذي استعرض أهم إيجابيات الدولة العثمانية، بغض النظر عن بعض السلبيات التي رافقت بعض الأزمنة العثمانية، فجل الأبحاث كانت تستعرض الإدارة العثمانية بطريقة سردية غير تحليلية، ومن غير التركيز عن الإيجابيات وإبرازها، بالإضافة إلى تلك الأبحاث التي كان همها التركيز على السلبيات فقط، متغاضية عن الإيجابيات الكثيرة للإدارة العثمانية.

وفيما يلي تحليل أفكار هذا الكتاب، والتي سننتهج أن نضع لها عناوين مناسبة، تتوضح من خلالها أفكاره، وتعال شيئاً من التنظيم، وذلك من خلال تجميع الأفكار المناسبة في فقرة واحدة وبعنوان مناسب.

كما سننتهج أن نوثق لمؤلفين آخرين وافقوا الشناوي في أفكاره، أو توثيق أفكار توافق ما ذكره، وذلك في حواشي البحث.

### أولاً - من أسباب ظلم العثمانيين:

يطلعنا الكتاب على أحد أسباب ظلم التاريخ العثماني، يقول المؤلف: «يعود الظلم الواقع على هذا العصر في قلة ما كُتب عنه وضخامة ما كتبه الغرب ضده في الحقبة الاستعمارية» (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥١).

ثم يستطرد فيؤكد أن هناك من وصفوا الدولة العثمانية بالظلم وألقوا في ذلك أدباً شعبياً وتمثيلات وكتناً وكتباً وبرامج، وحققوا من ذلك غسيل مخ العرب، ثم الاستيلاء على أراضيهم وثرواتهم، بحجة أنهم يريدون حمايتهم من الظلم العثماني.

وهنا يستغرب المؤلف، ويسأل القارئ: قل لي بربك أي دولة على الأرض أو على مدى التاريخ سُمي الحاكم فيها كما سُمي سليمان «بالقانوني»، أليست هذه شهادة دولية وتاريخية وإقرارية بعدل هذا الحاكم، وكيف يحترم القانون وينال هذه الشهادة «القانوني» دون عدل، في الوقت الذي وصموا فيه مثلاً حاكم روسيا بـ «بطرس الرهيب»، ووصفوا غيره «بالفاجر».

فهل يا ترى هذه الشهادات التاريخية بغير مدلول؟! (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ٣٣)

ثم يسأل المؤلف سؤالاً استغرابياً آخر: هل دولة تجتاح الشرق الأوسط في ثلاث سنوات، وتواجه الصليبية الدولية وتغزوها في عقر دارها، وتصل إلى فيينا وبولندا والمجر، ثم تدوم أربعة قرون كاملة ... هل هذه الدولة ممكن أن تكون على غير أساس ولا نظام ولا حضارة ... .

وهنا يشير المؤلف إلى سبب التكالب على العثمانيين من الناحية الحضارية، إذ يذكر أن الدولة العثمانية نفسها تعترف أنها لا تملك حضارة ولا تملك فكراً إلا الإسلام، وتسمي عاصمة المسيحية السابقة القسطنطينية: استانبول، أي إسلام بول - عاصمة الإسلام - ، وتفتخر هذه الدولة بأنها لا شيء إلا الإسلام.

فليس عجباً إذن أن يجتمع ضدها كل الغرب والشرق والصليبية والصهيونية ليشوهوها (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١١٦).

### ثانياً - توضيح تضليلات:

ومن التضليلات بحق العثمانيين ما يتعلق بما يقال عن نقل الفنانين ومهرة الصناعات من مصر وسوريا إلى اسطنبول، ولذلك لما صدق هؤلاء هذه الكذبة بنوا عليها كذبة أخرى تقضح الكذبة الأولى، وهي أن نقل هؤلاء يفسر جمال اسطنبول اليوم، وهنا يجيب الشناوي بأن هذا قول قاصر، لأنهم أعيدوا (أي الفنانين ومهرة الصناعات) بفرمان بعد سنتين، وحقيقة الأمر أن الأتراك كانوا ينقلون المصري إلى اسطنبول والتركي إلى القاهرة لمدة عامين، ثم يعاد كل إلى موطنه، والغرض كان تبادل العلم والخبرة وتحقيق الاختلاط السليم (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥٤).

فهذه حادثة أخرى تدل على تزوير تاريخ العثمانيين على يد المؤرخين العرب أنفسهم؛ فهم يقولون إن الباب العالي أخذ من مصر العمال المهرة حتى أفقرها، لكن الثابت أنه بعد سنتين صدر فرمان بإجبار هؤلاء العمال على العودة إلى موطنهم الأصلي ... ولكن المؤرخين أرسلوهم ولم يعيدوهم.

ويسأل المؤلف: هل كانت تركيا مجدبة من القصور والمساجد الفاخرة قبل وصول هؤلاء العمال وامتألت بكل هذه التحف على يدهم؟ لم يدر في خلد المؤرخ المزور أن يتساءل القارئ هذا التساؤل ... الحقيقة أن العمال هاجروا إلى اسطنبول كما يهاجرون الآن إلى دول النفط لتحسين حالهم (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٤).

وفي موضع آخر من كتابه، يذكر الشناوي ما قيل من أن السلطان سليم عندما دخل الشام ثم مصر نقل الصناعات إلى اسطنبول، وهذه المقولة يكذبها صدور فرمان صريح بعد ذلك بسنتين يحتم على كل عامل العودة إلى بلده، وكأنما كان دخوله اسطنبول دخولاً غير شرعي، ثم إن هناك سبباً في هذه الإشاعة عن نقل العمال المهرة، هي أن تيمورلنك كان قد عمّر سمرقند بهذه الطريقة، بينما كانت اسطنبول عامرة أصلاً من قبل هجرة هؤلاء العمال، بدليل أن لها تقاليد في غاية السمو كما وصفها ابن بطوطة في رحلته (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٣٦).

ومن التضييلات قضية سياسة التتريك، فيذكر المؤلف أن الأتراك - وهم غير عرب - عملوا على حماية الإسلام ونشر سلطانه، ومن حبههم في الإسلام ذاته احتفظوا بلغة العرب كلغة الدين ولغة لعلم في كل الإمبراطورية العثمانية، بل إن اللغة العربية اجتاحت اللغة التركية بعد الفتح العثماني، ولم تكن موجودة في مفرداتها قبل ذلك، بل إن اللغة العربية انتشرت في الإمبراطورية العثمانية وفي جميع نواحي الحياة لمجرد حب الأتراك في الإسلام<sup>(١)</sup>؛ فمثلاً عند غزو السودان، اللغة التي انتشرت على يد الترك هي العربية وليست التركية، رغم أن هذه المناطق كلها كانت تطلق على المصريين «الأتراك» لمجرد أن هذه الشعوب عدت اللغة العربية الوافدة هي لغة الترك، والواقع أن أكثر من نصف ألفاظ اللغة التركية الدارجة صارت عربية بعد الفتح العثماني للدول العربية (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥).

إن ما ظهر من إحياء وتعصب للغة التركية والتقاليد التركية، وبعبارة أوضح إن الذي أحيى الطورانية هي تركيا الفتاة الدونمية اليهودية (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥).

وهناك تهمة معاكسة يصوّبونها إلى العثمانيين، وهي أنهم كانوا يرفضون العربية ولغتها، وأن سبب انهيار الدولة العثمانية هو أنها لم تتعرب ولو أنها تعربت لاندمجت في الإسلام تماماً إلى الأبد، وقد خُذع في هذه النظرية أمثال الكواكبي ورشيد رضا وكثير من المشهورين.

فأولاً؛ كانت اللغة العربية طوال عصر العثمانيين هي لغة العلم ولغة القانون، وثانياً؛ فإن الكلمات العربية كوّنت أكثر من ٥٠% من اللغة التركية، وكانت التركية نفسها تُكتب بالحروف العربية، وكل هذا خطوات نحو التعرب (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ٤٧).

وكانت اللغة العربية لغة للعلم والدين في إمبراطورية شاسعة لمدة أربعة قرون (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ٢٨-٢٩).

ولا يجادل أحد أن العثمانيين هم الذين نشروا بل ابتدعوا مدارس تحفيظ القرآن (الكتاتيب)، ونشروها في جميع القرى والمدن، ولا جدال أنهم هم الذين جعلوا لوظيفة القاضي الإشراف على المدارس وعلى الأوقاف وعلى مالية الدولة<sup>(٢)</sup>.

بل إن العثمانيين نشروا الكتاتيب في الأناضول ذاتها، بل في الروملي<sup>(٣)</sup>، والكتاتيب تُحفظ القرآن طبعاً بالعربية، حتى كان أطفالهم يحفظون القرآن بالعربية دون فهم!

(١) وفي هذا المجال تذكر الدكتورة ليلي الصباغ أن الدولة العثمانية لم تفرض اللغة التركية ولا اللغة الفارسية، بل بقيت اللغة العربية هي لغة التعليم في الولايات العربية. (أوغلي، ١٩٩٩، صفحة ٣٣٢).

(٢) وتذكر الدكتورة ليلي الصباغ أن العلماء في الدولة العثمانية اتجهوا في التدريس والتأليف إلى علوم اللغة العربية، وأن هناك فيض من المؤلفين والمؤلفات في ميدان كافة العلوم، وفي جميع الولايات العربية دون استثناء. انظر (أوغلي، ١٩٩٩، صفحة ٣٣٩).

(٣) أي الجزء الأوربي للدولة العثمانية.

فالتترك هم أول قوم يدخلون الإسلام بدون غزو إسلامي لبلادهم، فمؤسس الدولة العثمانية - أي عثمان نفسه - كان بيزنطياً وأسلم اقتناعاً لا وراثة، واستمر الدخول في الإسلام في أهله وعشيرته إلى أن سقطت بيزنطة وسقطت القسطنطينية التي كانت «فاتيكان العالم» في ذلك الوقت. ومع ذلك يقول المؤلف، إن بربر شمال أفريقيا لم يتعربوا حتى الآن، ومسلمو الهند لم يتعربوا، ومسلمو الصين وروسيا لم يتعربوا، ومسلمو أوروبا وأمريكا لم يتعربوا، فلماذا إذن التركيز على لوم الأتراك الذين «رفضوا التعريب»، علماً بأن هذا غير صحيح، فالتترك تعربوا ٥٠% (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ٤٨-٤٩).

ويرد الشناوي على تضليل آخر يتعلق بما يتردد في الكتب بأن الباشا (الوالي) كان يُغَيَّر كل سنة في الولايات العربية، لذلك كان همه أن يجمع من المال والرشوة أكثر ما يمكن قبل انتهاء السنة! وبالتالي كان يهمل شؤون الولاية، والنتيجة: تسوء أحوال الولاية والرعية! ويسخر الشناوي من هذا التضليل، ويبين أن هناك من الولاة من مكث ست سنوات (مثل باكر باشا)، وأن اختيار الشعب هو الكفيل الحقيقي بالرقابة، وأن الذي يرتشي هو الذي يبقى إلى الأبد ولا يهمله رأي الناس (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٢٢).

#### ثالثاً - حال العرب قبيل مجيء العثمانيين:

يبين المؤلف أن الدولة العثمانية ولدت وسط ثلاث محن تحيط بالأمة العربية والإسلامية:

- محنة طرد العرب من إسبانيا.
  - محنة غزو التتار لبغداد وإسقاط الخلافة العباسية.
  - محنة الغزو الصليبي لديار الشام ومصر.
- واستطاعت الدولة العثمانية أن تنقذ المسلمين من التتار ومن الصليبيين وأن تمنع امتداد الإسبان إلى الشمال الأفريقي المسلم.
- وكان العرب في ظل هذه الأوضاع يعانون من انغلاق داخلي، وكانوا قد انتهوا كحكام وأصحاب سيادة وأصحاب دولة.

فالمجتمع العربي وقتذاك كان ضعيفاً من الأصل منذ أول لحظة لميلاد الدولة العثمانية، بل إن صفة الضعف فيها مجاملة: كان مجتمعاً محتضراً، وفي أحسن الفروض غير قادر إلا على تجميد عاداته وتقاليده وقدراته السابقة مثل الكرم والشجاعة والزهد والغيرة على الأرض والعرض، ومستحيل عليه الابتكار والتجديد والإنتاج في ذلك الوقت<sup>(٤)</sup>.

(٤) (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٢٠). ويرى العديد من الباحثين أن من صفات الاقتصاد العربي بمجموعه قبيل مجيء العثمانيين، تلك نشاطه، فقد تأثر تأثراً سلبياً بالتطور الذي طرأ على الاقتصاد الأوربي في العصر الحديث وبنمو الصناعة والتجارة الأوربيتين، والارتقاء بتقنيتهما، وما يرتبط بكل ذلك. انظر (أوغلي، ١٩٩٩، الصفحات ٣٠٦-٣٠٧).

أما من الناحية الفكرية؛ فإن كل ما يعزى إلى العثمانيين ظلماً من تقهقر الفكر إنما عاناه العرب قبل الغزو العثماني، بدليل أن التتار والصليبيين غزوا العرب قبل الغزو العثماني، ولكن كل مصلحة الصليبية الصهيونية المعاصرة آنذاك وحالياً أن تلتصق التهمة بالعثمانيين، وأن تؤكدوا وتغسل مخ المسلمين، وهي لا تغفل ذكرها كرهاً في العثمانيين بالذات ولكن كرهاً في الخلافة نفسها، وهم يكرهون الخلافة لأن عودة الخلافة هي عودة الإسلام (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ٢٥-٢٦).

#### رابعاً - هل هو فتح عثماني؟:

يذكر المؤلف أنه عندما جاء العثمانيون فاتحين إلى بلاد العرب لم يواجههم في القتال إلا المماليك فقط، العرب لم يواجهوهم لحظة واحدة في معركة واحدة، فإما أن العرب رحبوا بهم تماماً، وإما أن العرب كانوا كمّاً مهملاً<sup>(٥)</sup>.

وفكرياً؛ كان العرب قد ذهب عنهم عهد الابتكار والبناء وجاء عهد التقليد والعقم، بعد سقوط الأمويين ثم العباسيين ثم هجوم المغول، وكان مجيء العثمانيين هو الأمل الجديد في الإحياء الفكري والفني والحضاري، خصوصاً أن هذا حدث بعد طرد العرب من الأندلس، وأن العثمانيين أنقذوا شمال أفريقيا من مصير الأندلس.

وبعد هذا الكلام يقرر الدكتور فهمي الشناوي الحقيقة التالية: إن دخول العثمانيين إلى البلاد العربية هو «فتح إسلامي كفتح عمرو بن العاص لمصر» (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥).

#### خامساً - الإدارة التنظيمية المتماسكة:

ويُصوّر المؤرخ فهمي الشناوي هرم الدولة الإداري التنظيمي المتماسك، فكان هناك على رأس الدولة السلطان، وكان السلطان يتخرج أن يسمي نفسه الخليفة تعظيماً لمركز الخلافة وإجلالاً لرسالة الخلافة، وربما كان يعدها أمانة عربية يحافظ عليها إلى أن يخرج العرب إلى رشدهم فيردها إليهم، أي إلى أن يخرجوا من الشرنقة المحيطة بهم (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٢١-١٢٢).

والشخص التالي مباشرة للسلطان كان شيخ الإسلام، وأما الصدر الأعظم فإنما يأتي بعد شيخ الإسلام، وأوجد سليمان القانوني هذا التنظيم الذي لم يسبق له مثيل في كل البلاد الإسلامية؛ بأن أوجد لقب ووظيفة «شيخ الإسلام» وجعله فوق الصدر الأعظم وجعله لا يعلن حرباً ولا يعقد معاهدة إلا بعد أخذ رأيه (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٤١-١٤٢).

وكان شيخ الإسلام هو المفتي، وكان المفتي يختار مساعديه لكل قطر، وكل مساعد يختار مفتي لكل محافظة ثم كل مركز ثم كل قرية، وكان أصغر مفتي أو قاضي في أصغر قرية يتصل

(٥) أشار أحد أكبر إيديولوجي القومية العربية الحديثة، المؤرخ ساطع الحصري في مؤلفاته؛ أن العرب عدوا حكم السلاطين العثمانيين استمراراً مباشراً للخلافة الإسلامية، وأنهم لم يشعروا بأنهم شعب مُستعمر تابع لسلطة أجنبية. انظر: (الحصري، ١٩٦٠، صفحة ٨٢)

بالسلطان مباشرة متجاوزاً الوالي (الباشا) المعين على القطر وسائر التنظيمات. وكان موازياً لسلسلة المفتي هذه سلسلة أخرى من الأشراف سلالة آل البيت، وإن كان هؤلاء لا يعطون أي وظيفة إنما لهم حق تمثيل الشعب لدى الحكومة في التظلم والتقدم بالطلبات والآراء، وهؤلاء لا يتصلون بالسلطان إنما هم ممثلون شعبيون فقط (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٢٢).

ثم يتلو شيخ الإسلام «قاضي عسكر»؛ أحدهما للأناضول في آسيا والآخر للرومل في أوربا، الأول مختص بشؤون آسيا والثاني مختص بشؤون أوربا. ثم بعد هذين القاضيين يوجد قضاة درجة أولى للعواصم مكة والمدينة ودمشق والقاهرة.

إلى جانب وظيفة القاضي والمفتي أنشأ العثمانيون نقابة الأشراف كتمثيل شعبي موازي للتمثيل الرسمي القضائي. والأشراف هم سلالة الرسول ﷺ، وهذا التخصيص لهم، لم يكن موجوداً أبداً قبل ذلك الفتح ولا بعده، ونقيب الأشراف يأتي في المرتبة بعد شيخ الإسلام وهو الذي يراقب صحة العضوية في هذه السلالة.

وكان أئمة المساجد يُعيّنون من قبل القاضي إذا كان المسجد ملك الدولة، ومن قبل الواقف إذا كان المسجد وقفاً، وهي أيضاً ميزة لم تتواجد في أي دولة حققوا بها احترام إرادة الشعب في اختيار إمام المسجد (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٤١-١٤٢).

وكان في الدولة العثمانية مؤسسة دينية ترعى الدين والتعليم معاً دون فصل بينهما، وتفرض احترامها عن طريق التصوف وبناء المساجد والتكايا والأوقاف الخيرية، ولو أحصيت الأوقاف والأسبلة والمدارس الخيرية المجانية في العصر العثماني وقورنت بجميع العصور الأخرى لفاقتها مجتمعة.

وكانت التنظيمات الحكومية في الأقاليم أو الأقطار كالتالي:  
والي أو باشا، ثم أمير الحج ثم آغا مستحفظان (حكمدار)، ثم المحتسب ثم الوالي المحلي (الصوباشي مثل المحافظ الآن).

أما الباشا: فيعيّنه السلطان بشرط رضى الشعب عنه، ونضرب مثلاً بخورشيد باشا الذي رفضه الفلاح المصري العادي عندما طووا البساط أمامه، فخلع ثم عُين علي باشا مكانه لأنه مرشح الشعب، وهذه ديمقراطية نعجز الآن عن مثلها.

ومهمة الباشا كانت تلقي شكايات الناس ورفعها للسلطان، إلا العلماء فكان لهم حق الاتصال المباشر بالسلطان. ومن مهامه أيضاً مراقبة كشاف الأقاليم، والقيام بهمة الوصل بين السلطان والمماليك (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٢٢).

أما أمير الحج، فكان الرجل الثاني في كل قطر لما له من مظهر ديني، ولأن الحج يستغرق ما بين ٤ - ٦ شهور، وموكب الحج ليس مجرد موكب استعراض ولكنه قافلة تجارية للاستيراد والتصدير السنوي تبلغ ميزانيتها ما يساوي الآن الدخل القومي، فكان حجاً وتبادل منافع مع

المسلمين لا مع اليابان وتايوان، ولأن المهمة لا تقتصر على سياحة ولا تجارة ولكنها تحقيق أمن عن طريق تأديب العربان وقطاع الطرق وتحقيق هيبة الدولة الحربية على طول الطريق من طنجة إلى مكة ومن بودابست إلى مكة ومن أوغندا إلى مكة، ولأن كل موكب حج ما هو إلا مؤتمر تبادل ثقافي وفنوني وعلمي بين أقطار الدولة، هذا علاوة على أن أمير الحج طوال هذه الأربعة إلى الستة شهور هو حاكم وقاضي وأب لكل الموكب، وهو حامل أموال الصرة<sup>(٦)</sup> إلى الحرمين الشريفين وحامل الكسوة<sup>(٧)</sup> إن كان من مصر، وهو المشرف على سلامة القلاع الحربية على طول الطريق من بلده إلى مكة، والمشرف على آبار المياه، وهو الذي يتلقى ويضبط أسماء الحجاج وحالتهم الصحية والمعنوية من قرية إلى قرية على طول الطريق، وهو في الوقت نفسه قائد لبضعة آلاف محاربين لا بد أن يصحبوا الموكب كل عام، فالحج كان فعلاً «مشهد إسلامي» (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٢٣).

وكان موكب الحج يأتي من اسطنبول ليقابل موكباً آتياً من الهند وآخر من فارس وآخر من مصر، وكان السلطان العثماني بمثابة الزعيم الروحي لأمرء الحج، فيتجسد تواجد الحاكم مع شعبه كلها، وكلهم يهرولون في رحاب الله، وكانت غربة لسان هذا السلطان التركي تزيده تعلقاً بالإسلام الذي ساوى بينه وبين العرب، وكان العربي والفارسي والرومي وكل الأجناس تحس أن الله وحد بينهم فعلاً وحقاً وعملاً، وجسد ذلك في دولة وفي عبادة وفي عرف وفي عادات وفي تبادل مادي وروحي وفكري.

أما آغا مستحفظان<sup>(٨)</sup>: فهو قائد الانكشارية (المشاة الجدد)، وهذا كان يختاره كبار المماليك وليس السلطان، وكانت الانكشارية بعد فتح أي بلد يتم تسريحها واندماجها في المهن والحرف المحلية والمجتمع المحلي.

وكان للآغا مستحفظان عدة مهام؛ اقتصادياً: يعين عليه ضبط الأسعار والأسواق والعملات والموازين ومراقبة التجار وأصحاب الحرف، فلا بد أن يكون حازماً جداً وعادلاً جداً، وكان مقره على باب زويلة، وأمامه وسائل العقاب، فكان كل شيء يجري في دقة متناهية.

أما من الناحية الاجتماعية: فكانت مهمته ضبط العلاقة بين المسلمين واليهود والنصارى، وله في ذلك أن يشترط ملابس معينة أو مظاهر معينة أو تقاليد معينة، ومن مهمته ضبط عدم

(6) وهي الأموال التي كانت تُجمع في الدولة العثمانية بشكل عام، وتُرسل إلى فقراء مكة والمدينة في كل سنة تدوّن في دفاتر بمناسبة موسم الحج، ولم تكن تلك الأموال تدفع من قبل الدولة العثمانية هكذا اعتباطاً، بل كانت العثمانية). معينة، أطلق عليها فيما بعد مسمى (دفاتر الصرة

(٧) أي كسوة بيت الله الحرام.

(٨) من حفظ بالعربية، وكان اسماً لحرس القلاع والحصون والمدن قبل إلغاء الجيش الإنكشاري، فلما ألغي أطلقت على عساكر الاحتياط الذين استدعوا إلى الخدمة العسكرية. انظر: (دهمان، ١٩٩٠، صفحة ١٣٧).

تشغيل الأحداث في المهن ومراقبة الأخلاق في الحمامات والمنتزهات والعلاقات بين الناس والرقيق وتنظيم الزحام والتكديس وتجهيز المساجد وسلامة المباني بالشروط الصحية اللازمة، ومراقبة مياه الخليج عندما تصلح للشرب أثناء الفيضان ثم لا تصلح أثناء ركود المياه بعد ذلك، ويراقب إضاءة القناديل أمام البيوت والشوارع ويراقب الحرائق.

أما من الناحية السياسية: فكانت مهمته مراقبة العناصر المشاغبة ومثيري الفوضى والمتأمرين، وإعلان الأمان بعد القضاء على أية فتنة.

وأخيراً: فإن مهمته استلام المحمل<sup>(٩)</sup> وتسليمه لأمير الحج في بركة الحج شمالي القاهرة، وجرد الحساب قبل وبعد الحج، واستقبال القناصل مع الباشا عند تقديم أوراق اعتمادهم.

أما مرتب هذا الموظف الثاني في القطر كما هو ثابت في دفاتر الروزنامة، فكان ٩٦ أردب<sup>(١٠)</sup> قمح و ١٤٤ أردب شعير، وليس له مرتب نقدي إلا آغا مستحفظان اسطنبول فكان له مرتب شهري قدره ستون ألف قرش، وهو ثاني مرتب في الدولة.

أما المحتسب أو أمير الحسبة الشريفة فله مكتب هو بيت الحسبة، وكان اختياره بأن يجتمع الجاويشية<sup>(١١)</sup> ويقومون باختياره ثم يرفعون اسمه إلى الباشا، فكان المحتسب يمثل قمة الإدارة بعد المستحفظان.

وكانت مهام المحتسب تتركز في الإشراف على التسعيرة في الأسواق وداخل المحلات ووكالات الحبوب والجلال وسواحل بولاق، ويقدم أي مخالفة إلى محكمة بولاق، ويراقب الأطعمة والمأكولات أن تكون ملوثة أو مغشوشة، ويقدم التاجر المخالف إلى شهيندر التجار أولاً، فإذا لم يمثل وتكرر منه الخطأ خرمت أنوفه حتى يعلم الناس أنه تاجر غشاش أو يبيع بضاعة فاسدة.

وكانت وظيفة المحتسب كمساعد المستحفظان وأحياناً تداخلت أو طغت عليها، ولكنه كان ينفرد بتكاليف الاحتفال برؤية هلال رمضان، وكانت إيراداته تنحصر في مقاطعة تعطى له ليستغلها وعلى عوائد بعض السلع (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٢٤-١٢٥).

الصوباشي<sup>(١٢)</sup>: كان الباشا يختار ثلاثة ولاة على القاهرة ومصر القديمة وبولاق، كل منهم يسمى صوباشي، ومهمته تنفيذ الأحكام التي يصدرها «قاضي عسكر»، ومراقبة النظافة، وكان

(٩) المحمل أصلاً: الهودج على ظهر الجمل، يُدار به من قبيل العرض الشعبي في الأحياء الكبيرة في البلد، وهي عادة كانت شائعة منذ العصر المملوكي. انظر: (دهمان، ١٩٩٠، صفحة ١٣٦).

(١٠) الإردب: مكيال ضخم لأهل مصر، وقيل يضم أربعة عشر صاعاً، انظر: (منظور، ١٩٩٧، صفحة ٤١٦).

(١١) الجاويش أو الشاويش: لفظ تركي لرتبة عسكرية، وهو في الأصل بمعنى حاجب، وهو صاحب البريد، والدليل في الحروب، ومأمور أخبار واستخبار. انظر: (دهمان، ١٩٩٠، صفحة ١٥).

(١٢) وظيفة عثمانية، وهو رئيس فرقة من السباهية، وهي فرقة من الفرسان، وهم من رجال العسكرية العثمانية. انظر: (دهمان، ١٩٩٠، صفحة ١٠٣).

مسؤولاً عن المسروقات وعن إغاثة الملهوف، وكان يتبع الصوباشي عدة «شيوخ حارات» شيخ لكل حارة، وغالباً يكون شيخ الحارة شيخاً لطائفة حرفية تسكن هذا الحي.

كان هذا هو هيكل رجال وجهاز الأمن وهو خاضع للقضاء تماماً.

لقد حقق هذا النظام الإداري أهدافاً هامة جداً، فعدد الموظفين كان قليلاً حتى أن (كرومر) يذكر أن عدد موظفي مصر عندما دخلها الإنجليز كان «٨٢ موظفاً» مدنياً، ومعنى هذا أن تكون الضرائب قليلة جداً ولا تكاد تذكر، فكانت الضرائب طوال العصر العثماني عبارة عن رسوم على السلع عند دخولها، وكانت الخدمات من نظافة وإضاءة يُعهد بها إلى أصحاب الحوانيت والمنازل كل أمام بيته، وكان التعليم مجاناً في الجوامع، وكانت المدارس والمستشفيات تابعة لأوقاف أهلية وخيرية<sup>(١٣)</sup>.

وحقق هذا أهدافاً بعيدة؛ أولاً: كانت كل السلع والخدمات رخيصة جداً، وثانياً: كانت البيروقراطية منعقدة فلا يوجد إلا المحتسب والمستحفظان وبعض الصوباشيين، وكانت وطأة الإدارة خفيفة جداً ولكنها حازمة جداً عند اللزوم، وكان الاعتماد كله على وعي الناس الديني وأمانتهم وتعلقهم بالدولة المسلمة وتطبيقهم لقواعد الإسلام من نظافة وتطهر وتخلق بالخلق الإسلامي، وأمانة في البيع والشراء وكافة المعاملات، فكيف تكون هناك ضرائب ولماذا تكون؟<sup>(١٤)</sup>.

إن أول من فرض الضرائب هم الفرنسيون في حملة نابليون على مصر، وسماها المصريون «الفردة» لأنهم ما تعودوا أبداً دفع ضرائب، وبعد ذلك بدأت تنهمر الضرائب إلى يومنا هذا، و«ندفع ضرائب لكي نتقاضى بقانون فرنسي أو لكي يضربنا الأمن المركزي أو لكي نتعلم ثقافة وعرق وتقاليد خصومنا، نضرب أعناقنا بضرائب من جيوبنا ذاتها» (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٢٦ -

(13) لخص الباحث الدكتور ألبرت حوراني الحال الإداري للدولة العثمانية، فذكر أن الإدارة العثمانية كانت دواوينية (بيروقراطية)، تضم أقطاراً مختلفة ضمن إدارة واحدة ونظام ضريبي واحد، غير أنها كانت أيضاً آخر تعبير عظيم لشمولية العالم الإسلامي، فقد كانت تحفظ الشرع الديني، وتصون وتوسع حدود العالم الإسلامي، وتحمي المدن المقدسة في جزيرة العرب وتنظم الحج إليها. كما كانت دولة متعددة الأديان، تمنح المسيحيين واليهود وضعية خاصة معترفاً بها، وكان السكان المسلمون في مدن المقاطعات يُجتذبون إلى النظام الحكومي، وفي البلدان العربية تطورت ثقافة عربية عثمانية تحفظ التراث وتطوره في أساليب جديدة إلى حد ما. انظر: (حوراني، ١٩٩٧، صفحة ٢٥٨).

(١٤) يرى ألبرت حوراني أن الإمبراطورية العثمانية كانت إحدى أعظم البنيات السياسية التي شهدتها الجزء الغربي من العالم منذ انقضت الإمبراطورية الرومانية؛ فقد حكمت أوروبا الشرقية وآسيا الغربية ومعظم المغرب، وأمسكت معاً أراض ذات تقاليد سياسية مختلفة، والعديد من المجتمعات العرقية: يونان، صرب، بلغار، رومانيين، أرمن، أتراك، وعرب، ومختلف المجتمعات الدينية: مسلمين سنة وشيعة، مسيحيين من جميع الكنائس التاريخية، ويهوداً، وحافظت على سيطرتها على معظمهم قرابة ٤٠٠ سنة، وعلى بعضهم حوالي ٦٠٠ سنة. انظر: (حوراني، ١٩٩٧، صفحة ٢٦٩).

سادساً - الحياة الاقتصادية والاجتماعية للدولة العثمانية:

نقرأ في الكتب أن الاقتصاد العربي في ظل العثمانيين كان منهاراً، وأن المجتمع العربي عاش حياة مأساوية و ...

يجيب الشناوي: كانت الدولة العثمانية دولة دائمة التوسع ودائمة الحروب، ومن ثم كان المجتمع العثماني مجتمعاً استثمارياً حتى يلبي هذا التوسع المستمر .

كان مجتمعاً له أرسقراطية حاكمة ومحاربة، ورعية منتجة زراعياً وصناعياً وتجارياً وعلماء دين<sup>(١٥)</sup>.

وكل شطر من هذين الشطرين يتعايش مع الآخر دون تدخل في خصوصيات الآخر، فالغني يعيش مع الفقير في المدرسة والشارع والقرية دون أدنى تناحر، والعرب يعيشون مع الترك وبتزاوجون، ويتعرب الترك في الأجيال الناتجة من التزاوج، فليس هناك أي عثمانة بالقوة شأن المحتل مع الآخر.

ولعل السر في هذا التعايش العجيب والذي يتحول فيه كل جندي عثماني إلى مدني عربي بالتدرج؛ هو أن الدولة العثمانية كانت تفسح المجال تماماً لطبقة العلماء المحليين، فكانت كلمة «عالم» التي تطلق على رجل الدين غير معروفة قبل الفتح العثماني، وهي تعطي تعبيراً وإجلالاً لرجل الدين دون أن تضيف عليه كهنوتية.

ومن ملامح المجتمع العثماني العجيبة؛ أن كل مجموعة مهنية أو قروية هي في الواقع أسرة كبيرة مؤلفة من الغني والفقير والجاهل والمتعلم، فيها تقارب وفيها تصاهر، ولعل التصوف وانتشار الطرق الصوفية واحترام عالم الدين هو الذي حقق هذا الصهر والتصاهر والتقارب، وهذه الخاصية التي انفردت بها الدولة العثمانية هي التي يحاول الإعلام الصهيوني الصليبي قلبها وتصويرها على عكس حقيقتها تماماً، بالنكت الدارجة والتمثيلات التي ألفها ومثلها أمثال الريحاني وماري منيب، ليصوروا تسلط مزعوم من الحاكم على الرعية (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٤٠-١٤١)!

ثم بدأ المؤلف الحديث عن الصناعة، فذكر أنها كانت مرتبطة بالمدينة ومرتبطة بالسوق، بعكس الفلاحة أو الزراعة التي تعني القرية، و تدل آثار المدن المذهلة الجمال في عصر العثمانيين على مدى التقدم والتمدن.

كانت الطاقة المحركة ليست إلا الماء والهواء، فكانت الصناعات صغيرة وفردية أو عائلية، إنما تتميز بالإتقان.

(١٥) لقد كان الاقتصاد العثماني محكوماً بقوانين ونظم اقتصادية ثابتة تمنع الاستغلال وتشجب كافة السلبيات، بالرغم من ظهور اختراقات لهذه القوانين والنظم في بعض فترات التاريخ العثماني مما دفع السلاطين للقيام بمحاولات إصلاحية. انظر: (طقوش، ١٩٩٥، صفحة ٦٠٤).

كانت اسطنبول عامرة ... وفيها تقاليد في غاية السمو كما وصفها ابن بطوطة في رحلته، إذ يقول عن جماعات الآخي أنها جماعات من الصنّاع: «أشبهه بجمهريات صغيرة لها نفوذها»، ويقول: «لا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتقالاتاً بالغرباء وأسرع إلى إطعام الطعام وقضاء الحوائج والأخذ على يد الظالم، يبني الآخي منهم زاوية يجعل فيها آلات صنّعته ويخدم أصحابه في النهار في معاشهم، حتى إذا جاء العصر جمعوا ما اجتمع إليهم من مال فيشترون الفواكه والطعام، حتى إذا ورد مسافر أنزلوه عندهم» (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٣٦).

هذه صورة فوتوغرافية لمجتمع في المدينة متيسر مادياً ومرتفع خلقياً واجتماعياً، ولا بد أن يكون متقناً ومتفناً في صنّعته.

وتتعلق بالصناعة - في ذلك العصر - صنعة الكار، والتي يحدثنا عنها الشناوي هنا بمايلي: كانت الصنعة تسمى «الكار»، وكان المبتدئ ثم الصانع ثم المعلم ثم شيخ الحرفة، وكلما صعدت في هذه الدرجات كلما ازدادت شروط الإتقان والأخلاق معاً، وهذه ميزة انفرد بها هذا النظام، وفوق شيوخ الحرف جميعاً يوجد شيخ المشايخ<sup>(١٦)</sup>، وهذا كان له حق المحاسبة عن الإتقان والأخلاق، وله حق الحبس والقيود إذا مسّت سمعة أي كار أي شائبة (عدد الحرف تجاوز ٢٠٠ حرفة لكل حرفة شارع).

وكان هناك إلى جانب شيخ الحرفة شاويش لها يتولى أعمالها الإدارية، وكان محك الانتقال من المبتدئ إلى صانع ثم إلى معلم شيء واحد هو الإتقان.

ولم يكن يحق فتح دكان خاص لابن أي حرفة إلا بعد الوصول إلى رتبة المعلم<sup>(١٧)</sup> فقط، وكان عدد دكاكين المعلمين (مصانع صغيرة) محددة حرصاً على الدقة، ولا يرث الابن دكان (أي مصنع أبيه) إلا بعد الوصول إلى رتبة المعلم أيضاً، وكان لا يمكن صناعة أي شيء لا تقره نقابة هذا الصانع نوعاً أو جودة.

ولم تعب الرقابة عن الصناعات؛ إذ كانت المراقبة العليا لمجموع النقابات الحرفية هي في يد القاضي ويساعده فنياً المحتسب، فكانت هذه النقابات ذات سطوة على الحاكم والحكومة لا يماثلها إطلاقاً أي نفوذ لأي نقابة في عهدنا الحالي، وحفظت هذه النقابات لأعضائها جواً اجتماعياً صالحاً وتقاليداً سامية وإبداعاً محتماً مفروضاً (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٣٧).

ويوثق لنا الشناوي فضل الدولة العثمانية على رواج الصناعة المرتبطة بالتجارة لما ذكر: ان هذه الصناعات كانت مرتبطة بالرواج التجاري الذي حققته دولة بني عثمان عندما كانت مسيطرة

(١٦) في الأصل هو رئيس خوانق الصوفية جميعاً، (وهو هنا مسؤول عن سير الحرف كما يفهم من سياق الكلام)، وكان لهذه الوظيفة قيمة سياسية تزيد على قيمة قاضي القضاة. انظر: (دهمان، ١٩٩٠، صفحة ٩٩).

(١٧) وهو رئيس الصنعة أو الحرفة ومقتنها، ويشغل تحت يده الصنّاع والأجراء، انظر: (العظم، ١٩٨٨، صفحة ٤٥٨).

على البحار الأبيض والأحمر والأسود، وتجارة الترانزيت من الشرق والغرب، وكانت هذه أغنى فترة في تاريخ التجارة العالمية، لم يبدأ التراجع إلا بعد اكتشاف رأس الرجاء، وبعد اكتشاف أوربا لمناجم الذهب والفضة، ثم بعد ذلك بانطلاق الطاقة من الفحم، ولكن قبل هذا أدت الدولة العثمانية واجبها وزيادة<sup>(١٨)</sup>.

ثم يقدم لنا المؤلف مقياساً منطقياً، نقيس من خلاله حال الصناعة، يقول: وإذا كان مقياس أي صناعة هو حال المدينة؛ فإنه في طوال تاريخ المدن الإسلامية لم تكن هذه المدن (دمشق أو القاهرة أو غيرها) أنظف ولا أرشق ولا أفخم مما كانت في العصر العثماني (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٣٧-١٣٨).

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن التجارة، فقال إن الناس ييظنون أن العثمانيين كانوا جنوداً يحاربون فقط، وينسون أنهم كانوا إسلاميين حتى النخاع، وأن المسلمين أمة وسط، وهذه الوسطية هي كل فلسفة التجارة، ولم لا وقد انتعشت التجارة في المجتمع الإسلامي كما لم تنتعش في أي مجتمع غيره: صدق في التعامل، عدم احتكار، حرص على التبادل النفعي، وتسعة أعشار الرزق عند المسلمين من التجارة وهي نسبة أعلى من أي مجتمع غير مسلم، والقدر الأعظم من انتشار الإسلام خاصة في الهند والشرق الأقصى هو عن طريق أسلوب التجار المسلمين.

ففي مجال التجارة الداخلية خلقت الدولة العثمانية ما يعرف الآن بالأسواق الأسبوعية، فهذه البلد سوقها يوم الثلاثاء وهذه يوم الأحد...، وإلى الآن يعترف تجار روما ولندن أن فكرة سوق الأحد في كل منهما لم تؤخذ إلا عن طريق العثمانيين، ثم كان هناك سوق سنوي أو نصف سنوي وهو ما يسمى الآن «المعرض السنوي»، وفي هذا المعرض كان المنتج هو الذي يبيع للمستهلك مباشرة بدون وسيط، أي يمارس التجارة إلى جانب مهنته.

والتجارة المنتعشة تعني أن الأمن مستتب وتعني أن وسائل النقل ميسرة، وتجارة القوافل بالذات كان تعني أن التجار يوظفون حراساً خصوصيين، وأنهم ينشؤون حصوناً على مدى طريق قوافلهم، ويجب أن نتذكر أن قافلة الحج التي كانت تستغرق من ٤ - ٦ أشهر، ما هي أساساً إلا قافلة تجارية بحراسها وبالقلع التي تقف عندها وبالمرتببات التي تدفع للأعراب على مدى الطريق، وأن نعلم أيضاً أن أي قافلة تجارية كانت حوالي ٤٠٠٠ جمل، وأن دخولها عاصمة كدمشق أو

(١٨) هنا لا بد من القول أيضاً أن الدولة العثمانية، رغم ما وصلت إليه من ضعف فيما بعد، فإنها لم تتخلف عن الأخذ بكل ما هو مفيد في مجالات الصناعة وتطور النقانة، ولا زال - على سبيل المثال - خط الشرق السريع شاهداً على محاولات الدولة العثمانية لسباق الزمن، وكانت الدولة العثمانية من أوائل الدول التي حاولت وعملت على ربط كافة ولاياتها المتباعدة بأجهزة الاتصال البرقية (التلغراف)، وأقامت صناعات مختلفة، وكانت صناعاتها اليدوية مزدهرة، وهي تشهد بما امتلكته هذه الدولة من التقدم والتطور، وكافة متطلبات التطور الحديثة (موارد اقتصادية وبشرية ومناجم وخيرات متنوعة). انظر: (العسلي، د.ت، صفحة ٤٣٧).

القاهرة يستغرق يومين كاملين أو ثلاثة بصفة متصلة، وأن كل قافلة تحمل - إذا كان من سوريا - حبرياً وصابوناً ومشمشاً وتيناً مجففين، وتعود بأرز من مصر وسن فيل من السودان وفول سوداني وجلود، وتحقق ربحاً لا يقل عن ٦٠%.

وكان من تقاليد العثمانيين إعفاء قوافل الحجاج مهما كانت من أي تفتيش أو رسوم، وكذلك إعفاء الأسواق التي تقام بالقرب من أي ضريح كضريح الحسين والسيد البدوي والدسوقي ... أما التجارة الخارجية، فكانت جنوب أوروبا؛ خاصة إيطاليا والبنديقية وهي بوابة العثمانيين والشرق الإسلامي إلى أوروبا، وكانت تجارة الهند والصين تنتقل إلى البلدان الخاضعة للدولة العثمانية عبر الخليج العربي، بينما تجارة تركيا الشخصية تنتقل مباشرة إلى أوروبا الشرقية، وإن هذه التجارات كانت أنشط حركة تجارية شاهداها العالم الإسلامي على مدى تاريخه كله، فقبل اكتشاف رأس الرجاء كانت التجارة العالمية في يد العثمانيين.

وبعد انتهاء الحروب الصليبية، بقي بعض أفراد الصليبيين في الأراضي الشامية وعملوا كوسطاء تجاريين مع أوروبا، بينما كان قناصل أوروبا يُنظر إليهم كرهائن لدى الدولة وكضمان لحسن معاملة التجار المسلمين في أوروبا، على أن الدولة العثمانية أعطت هؤلاء القناصل كل المكاسب الدبلوماسية التي يتمتع بها الدبلوماسيون في العرف الدبلوماسي المعاصر: أعفوهم من الرسوم الجمركية، وأعطوهم حرية التنقل، وضمنوا لهم عدم القبض على القنصل مهما بلغت ديونه، وعدم دفع ضريبة الجزية، وأن يُغير القنصل كل ثلاث سنوات فقط، وضمنت الاتفاقيات العثمانية أيضاً أنه إذا تحطم مركب تجاري أوربي على ساحل إسلامي تُرد البضائع إلى الدولة المصدرة، بينما يؤخذ البحارة أسرى إلى أن يتم استجوابهم، وكذلك يُرد العبيد الفارين من أوروبا إلى أسيادهم.

أما الإمتيازات الأجنبية التي منحها السلطان للتجار الأجانب والبراءات التسهيلية التي منحها للمتعاملين مع هؤلاء التجار عن الرعايا المسلمين؛ فإنما كانت منحة من قوي لضعيف استتجد به واستغاث، وليست دليل عجز أو ضعف، لأن السلطان كان في أوج نفوذه وقوته، كما أنه لم يُر في تطبيق قضاء دولة أخرى مساساً به، ثم إنه كان هناك أقلية إسلامية في القسطنطينية قبل الفتح وكانت تتمتع ببعض الامتيازات أيضاً (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٣٧-١٤٠).

### سابعاً - النهضة العلمية في الدولة العثمانية:

بدأ الشناوي بمناقشة هذه القضية بتساؤل منطقي؛ هل الأمة المتخلفة ترعى العلماء أم تضطهدهم؟!

ثم يجيب بأنه لم يكن نحت وصياغة لفظ العالم ل يتم ويحاط بالاحترام ما لم يكن هناك علم وتعلم وتعليم ومدارس ومدرسون وعلماء، بل إن لفظ العالم (كلفظ قاصر على رجال الدين) لا يوجد قبل الفتح العثماني، ولا يوجد خارج الكتلة العثمانية، ولا يوجد حتى في أوروبا الآن (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٨).

فكان للعلماء نفوذ وصلاحيات، إذ لم يتأخروا عن التدخل في السياسة ضد أي استبداد، وتدخلوا في المجتمع للحفاظ على مستوى أخلاقي عال، وكان احترام المسلمين لهم هو المبرر الوحيد، وكانت الدولة تكرمهم بإعفائهم من الضرائب ومن أية مصادرة، وكانت تعتمد عليهم تماماً في رأب الصدع مع الأمة<sup>(١٩)</sup>، ولا تعتمد على رجال الأمن أو رجال الإعلام!! (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٤٣).

وننتقل إلى تساؤل منطقي آخر؛ هل تزدهر العلوم في ظل دولة متخلفة أم تتقهقر؟! يقول الشناوي: لقد تميزت المدرسة الفنية العثمانية بما يعد معجزة انفرادوا هم بها دون باقي الشعوب والدول والحضارات، وهي فن زخرفة المخطوطات وتزيينها، وفن السجاد وزخرفة المخمل ونقشه (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥٣).

وكان العثمانيون أول من استخدم الخزف والقيشاني نقلاً عن الفرس في تزيين المساجد، فكان الترك أشهر الخزافين في التاريخ (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥٤).

أما الصيدلة؛ فقد كانت فخر العصر العثماني، وكان أزهى بمراحل منها في أوروبا، وكانت أرقى وأغنى وأقرب إلى العلم والفن منها حالياً الآن في البلاد العربية والغربية، حيث تحولت الآن إلى شركات دواء وبوتيكات للبيع (دون أي فن في تحضير الدواء وتركيبه على أسس علاجية)، كان الصيدلي في العصر العثماني يعد عالماً كيميائياً خطيراً له أسرار وأشبه بمعجزات، وله معمل ومستحضر ومختبر (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥١).

ولقد كانت المدارس العثمانية العليا تُدرّس الرياضيات والفلك والتاريخ الطبيعي، ولكن العلم الذي تميزوا فيه حقاً كان الجغرافيا، إذ أثار اكتشاف أمريكا ورأس الرجاء أفكار الأتراك في الجغرافيا (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٤٧-١٤٨).

ولم يكن التعليم - في سياسة العثمانيين - مقصود به التوظيف، بل كان تعليماً من أجل العلم ذاته، وهذا يكفي، وكان تعليماً ميسراً يأتيك إلى عتبة بيتك، ومادته هي القرآن الكريم، ومن أراد أن يتبحر بعد ذلك قصد الأزهر، وأمام الإقبال على التعليم لم يهملوا تعلم الحرف، كتعلم هندسة المشربيات وفسقيات الماء، وتعلم الغزل والصباغة عند الأسطى... (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ٢٤-٢٥).

(١٩) كان العلماء - في ظل الدولة العثمانية - يتنقلون بحرية، فكان تنقلهم بين البلاد العربية والإسلامية وعلى نطاق واسع ظاهرة علمية وتعليمية صحية (هذا على الرغم من صعوبة المواصلات في تلك القرون)، فالحدود مفتوحة، ودور العلم في كل أنحاء العالم الإسلامي مستعدة لاستقبال من يفد إليها منهم. وقد ساعد بالطبع على حركة التنقل الحرة الواسعة هذه، وجود دولة واحدة تحكم معظم تلك الأصقاع، وهي الدولة العثمانية. انظر: (أوغلي، ١٩٩٩، صفحة ٣٣٤).

وأتهم العثمانيون بالجهل لأنهم لم يشيدوا جامعات حديثة<sup>(٢٠)</sup>، فهل هذه المقولة صحيحة! يجب الشناوي: إذا كانت كذلك، فكيف بنوا مسجداً مثل مسجد محمد علي في القلعة أو مسجد سنان باشا في بولاق، معجزات هندسية بالمئات والألوف تعجز الجامعات والمجموعات الهندسية الاستشارية وشركات المقاولات العالمية عن بنائها الآن، أو قل لي كيف شيدوا مدرسة طب عيون في مسجد قلاوون لا زالت إلى اليوم تعمل على مستوى عالمي، أو كيف بُنيت القناطر الخيرية بدون روسيا أو أمريكا، أو كيف كُونت الجيوش التي فتحت النمسا وبولندا والبلقان؟ ... كل هذا تم بالجهل يا ترى؟! (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ٢٥-٢٦).

لقد انفردت الدولة العثمانية في بناء المساجد فبنت أضخم مع أفخم المساجد في بورصة وأدرنة واسطنبول والقاهرة ودمشق وكل عاصمة، وكان فن بناء المساجد لديهم له طابع معين؛ أروقة عليها قبب صغيرة حول صالة عليها قبة ضخمة، فجاء الأتراك وألغوا الأعمدة المحيطة بالقبة المركزية والقباب الصغرى، لا لكي يفسحوا للمصلين فقط بل لكي يرى المصلون المحراب ويتابعون الإمام، ووصل هذا الفن أوجه على يد سنان الذي بنى مسجد السلیمانية (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥٣).

ورغم أن المذهب الديني للدولة كان المذهب الحنفي، إلا أنهم لم يغلقوا مدرسة واحدة لأي مذهب آخر، بل كان في سوريا مثلاً ٦٣ مدرسة شافعية و٥٢ للحنفية و١١ للحنبلية و٣ للمالكية. وكانت المدارس تعيش وتزدهر حسب الأوقاف الموقوفة عليها (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٤٧-١٤٨).

ولا بد هنا أن نشير إلى لمحة حضارية بلمسات عثمانية أشار إليها الشناوي، فلعل من مفخر العثمانيين أن تبدو الرحمة خالدة في مبانيهم المتنوعة، سواء كانت حمامات لتتظيف الجسد، أو أسبله مياه للعطشى، أو تكايا للرحالة وأبناء السبيل الذين تنقطع مواردهم، بل كانت الرحمة تتجلى في ثنایا هذه المباني كلها، فالتكية فيها مخبز مفتوح لأي قاصد يأخذ حاجته منه طازجة ساخنة، بل مطعماً يقدم الطعام من نافذة ضيقة حتى لا يعرف وجه طالب الطعام محافظة على إحساسه<sup>(٢١)</sup>.

وعلى الرغم من بساطة مظهر بناء البيوت والتكايا من الخارج، إلا أن داخلها كان حديقة

(٢٠) لقد عمل العثمانيون على تطوير العلوم والمعارف في كل المجالات، وتلك هي آثارهم باقية؛ فالمساجد والتكايا والزوايا لم تكن إلا مدارس لتدريس العلوم والآداب والفنون، وقد صُدم الفرنسيون ذاتهم عندما استعمروا الجزائر لانتشار القراءة والكتابة والعلم والمعرفة بين جماهير المسلمين الجزائريين، وكذلك الأمر بالنسبة للإيطاليين عندما استعمروا ليبيا (طرابلس وبرقة). انظر: (العسلي، د.ت، صفحة ٤٤٧).

(٢١) (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥٤). ولا زال مثل هذا المطعم موجوداً في تركيا، وكانت بعض الأسر إلى عهد قريب تقلد الأتراك بتقديم هذا الطعام أيضاً.

غناء منعقدة المثل، ونافورة مياه محاطة بالقيشاني، وعتبات وسلام زخرفية فنية بكل المقاييس، وزجاج ملون ومقرضات رائعة، القليل الباقي منها عددها متحفاً (مثل متحف الكردييه وكان بيت رجل سماك عادي)، حتى هذه البيوت لم نحافظ عليها وكان ممكناً أن تكون مزاراً دولياً يتعلم منه اليابانيون والأمريكان والألمان - ملوك المال المعاصرين - أن الفن أقيم من المال، وأنهم عاجزون بكل ما أوتوا من مال أن يقلدوا هذه العمارة (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥٥).

ونختم الموضوع الفكري بالحديث عن المؤسسات التعليمية وانتشار العلم والعلماء والمؤلفات في ظل الدولة العثمانية، فمما نقله الشناوي قوله: ولا يجادل أحد في أن العثمانيين هم الذين نشروا بل ابتدعوا مدارس تحفيظ القرآن (الكتاتيب)، ونشروها في جميع القرى والمدن، ولا جدال في أنهم هم الذين جعلوا لوظيفة القاضي الإشراف على المدارس وعلى الأوقاف وعلى مالية الدولة.

بل إن العثمانيين نشروا الكتاتيب في الأناضول ذاتها، بل في الرومي (الجزء الأوربي)، والكتاتيب تُحفظ القرآن طبعاً بالعربية، حتى كان أطفالهم يحفظون القرآن بالعربية دون فهم! (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ١٤٧-١٤٨).

ويكفي في باب العلم أن يزهو الترك على باقي البشر وعلى مدى التاريخ بأنهم أول وآخر من أنشأ مدارس تحفيظ قرآن للعميان، فمكّنوهم من المساواة مع المبصرين علمياً، وعوضوهم عن بصر مفقود ببصيرة نافذة (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ٢٥-٢٦).

ويتابع شناوي الحقائق: كانت المدارس التي بناها العثمانيون مفخرة، ولا تقارن بها أي مدرسة أو جامعة من التي نبنينا الآن، وكانت المنازل فيها حرملك للحريم وسلامك للرجال وقاعة للاستقبال وساحة مفتوحة على السماء، وكانت الحمامات إما عامة ميسرة لكل قاصد وإما خاصة داخل كل بيت، فكانت النظافة شقيقة للوضوء، وكانت الأشجار التي تغرس في الشوارع فاكهة ورياحين، وكانت الأسواق ذات شهرة دولية في كل القارات، بقي منها سوق الحميدية وسوق الموسكي وسوق الموصل وسوق لالا ومصطفى باشا في دمشق، وكان الخزف التركي أشهر وأقيم من الخزف البوهيمي أو البروسي<sup>(٢٢)</sup>.

(٢٢) يمكن الوقوف على حقيقة الحركة العلمية في الولايات العربية العثمانية من خلال معطيات سالنامة وزارة المعارف العثمانية، التي أصدرتها وزارة المعارف العثمانية سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م، واستمرت بالصدور حتى سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م، إذ تضمنت هذه السالنامة المؤسسات التعليمية والثقافية في الولايات العربية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وهذه المؤسسات تمثلت بإدارة المعارف والمدارس الحكومية بمختلف مراحلها، والمدارس الدينية الإسلامية وغير الإسلامية: المسيحية واليهودية، والمدارس الأجنبية، والمكتبات والصحف والمطابع في كل ولاية من هذه الولايات، وأوردت أيضاً معلومات إحصائية عن ذلك، فذكرت عشرات المؤسسات التعليمية والصحف والمطابع والمكتبات، والتي دلت على مدى ما وصلت إليه الثقافة ووصل إليه التعليم من انتشار وانتعاش في ولايات الدولة العثمانية. انظر: (بيات، ٢٠٠٣، الصفحات ٢٥٧-٢٦٦)، بناء على سالنامة وزارة المعارف عدد ٢ لسنة ١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م، ص ١٠٥٦-١٤٩٦.

بعد هذا كله يقال أنه كان عصر ظلام وجهل!! ونردد كالبيغاء هذا القول! والمقصود ليس العثمانيين ولكن الإسلام... مقصود زعزعة إيمان المسلمين بأنفسهم ومنعهم من الحنين إلى الخلافة وتسويد صفحة الماضي، إنهم يخفتون الأنوار عن أفخم وأرقى عصور الإسلام بعد عصر الرسول والصحابة (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥٥).

#### ثامناً - من أسباب سقوط العثمانيين:

وسنلخص هنا بعض التفاصيل التي ذكرها الشناوي، وهي تشكل بمجملها بعض أسباب سقوط العثمانيين برأيه، وهي كالتالي:

كان المعول الذي استخدمه الغربيون ومن والاهم في زعزعة أركان الدولة العثمانية هو الأقليات، كل الأقليات لا تصدق أن أي أقلية مهما كانت لا توافق على هدم المجتمع الإسلامي وتحويله إلى أنقاض، وكل أقلية تتصنع هذا الإدعاء هي أخطر من الأقلية التي تجاهر به. كانت الأقلية الأولى التي استخدموها معول هدم هي الأرمن.

ويبدو أن هذه الأقليات قد جنت على نفسها، أو كانت ضحية للتآمر على العثمانيين، إذ يذكر الشناوي أنه بعد هدم الخلافة وإعلان جمهورية أتاتورك هاجر أغلب المسيحيين من تركيا، لأنهم كانوا يتمتعون في ظل الشريعة والمجتمع الإسلامي بتسامح فقدوه بعد ذلك في ظل القانون الوضعي (يكفي كمثال الامتيازات الأجنبية الممنوحة لهم) (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ٧٤-٧٥). وسبب آخر هو الغزو الثقافي<sup>(٢٣)</sup>؛ إذ اتبع الغرب عملية الأوربية والتغريب والغزو الثقافي ضد العثمانيين (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ٧٥).

#### تاسعاً - تجربة العثمانيين في لم شمل العالم الإسلامي:

من ذلك تجربة السلطان عبد الحميد إذ يذكر الشناوي أن السلطان عبد الحميد كان يدرك عملية الاستعباط والاستدراج التي يساق إليها المسلمون (عبد الحميد، ١٩٨٨، الصفحات ١١٥-١٢٣)، لذلك دعا إلى «الجامعة الإسلامية»، أي جمع كل أجناس المسلمين تحت رابطة واحدة لا يفرقهم عرق أو قومية أو وطنية، فكان تقدماً أكثر من أي ثوري آخر.

وقرب إليه أشخاصاً من كل الجنسيات تطبيقاً لهذه القاعدة: جمال الدين الأفغاني، أبو الهدى الصيادي الرفاعي من حماة، أحمد العابد من دمشق، محمد ظافر من الجزائر، أحمد سعيد القيصري من المدينة المنورة، السيد فضل الله من ملبيار، أشرف مكة: حسين بن علي، علي حيدر، عبد

(٢٣) تعرضت الدولة العثمانية إلى حملات عنيفة ظاهرها محاربة الظلم والفساد وباطنها التشهير بها والنيل منها وصولاً إلى سلخ الشعوب التابعة لها، بهدف تفتيت وحدتها ومن ثم القضاء عليها، وقامت بهذه الحملات قوتان معاديتان للإسلام هما الاستعمار الأوربي والصهيونية. انظر: (طقوش، ١٩٩٥، الصفحات ٦-٧).

الإله باشا، صادق باشا ... .

ثم عيّن في وظائف الدولة وفي حرسه الخاص رجالاً من شتى الجنسيات: العرب والأفغان والفرس.

ولجأ إلى تزويج أميرات آل عثمان من غير الأتراك.

ركّز نشاطاً قوياً داخل مسلمي آسيا الوسطى، وأرسل إليهم سادة أشرف ومشايخ طرق صوفية لكي يتلاشى نفوذ الإنجليز داخلهم.

صمّم على الجامعة الإسلامية بدلاً من الجامعة العثمانية القائمة قبل ذلك، والتي كانت هي شعار مدحت باشا الذي يقبونه بـ «أبو الدستور».

لم يكتف بتركيز نشاطه في مسلمي آسيا، فعل الشيء نفسه في مسلمي شمال أفريقيا، ثم مع مسلمي الهند الخاضعين لبريطانيا.

ماذا كان يُطلب منه أكثر من ذلك؟ ولكنه لاقى حركات مضادة، حركة المطالبة بالدستور، لم يخلو لهم المطالبة بالدستور إلا لحظة التحول إلى «موت أو حياة»، لاقى ضغطاً شديداً من دول الاستعمار التي تريد الإجهاز على جثة «الرجل المريض»<sup>(٢٤)</sup>، لاقى تحرك الأفعى الصهيونية مطالبة إياه بفلسطين، والحق أنه وقف في وجهها وقفة خالدة تغفر له عند الله إن شاء الله.

هكذا كان الرجل أوعى وأكثر إدراكاً من كل الزعماء الشعبيين (الشناوي، ١٩٩٥، الصفحات ٥٤-٥٥).

وقدم الترك محاولة أخرى لتوحيد ولم شمل المسلمين، وهي سكة حديد الحجاز، يقول الشناوي: أنشأها الترك بتبرعات لا بأموال الحكومة، وكان التبرع شعبياً، ومن الشعب التركي لا العربي، وكانت طريقة التبرع هي مجرد ريال واحد يدفعه الفلاح الأناضولي مهما كان فقره أو غناه<sup>(٢٥)</sup>، وكان هذا الخط لا يربط فقط تركيا بمدينة الرسول ﷺ كرمز لوحدة المسلمين، ولكنه في الواقع يربط العرب أكثر، ولو استمر العثمانيون لربطوا كل الشمال الأفريقي بخط حديد آخر من طنجة إلى دمشق ليتصل بالخط الأول، ولربطوا «دلهي» بخط ثالث.

المهم أن هذا الخط لم يدفع فيه العرب أنفسهم شيئاً، وأهم من هذا أنهم هدموه فيما بعد

(٢٤) ويشير توماس آرنولد إلى أحد أسباب الحرب النفسية ضد العثمانيين المتمثلة بوصفها بالرجل المريض، وهي محاولة إجبار الأوربيين نسيان ماضي العثمانيين الإيجابي. انظر: (آرنولد، ١٩٤٧، صفحة ١٥٤).

(٢٥) تسابق المسلمون من كل جهة للتبرع والإعانة لهذا المشروع بعد أن أطلق السلطان عبد الحميد بيانه للمناشدة بالتبرع، فتبرع للمشروع كبار رجال الدولة العثمانية، وموظفو الشركات، والعديد من الصحف والجرائد؛ مثل جرائد اللواء والمنار والرائد، وكان أكثر المتبرعين حماساً هم مسلمو الهند. انظر: (الصلابي، ٢٠٠١، الصفحات ٤٧٥-٤٧٧). (المرجة، ١٩٦٦، الصفحات ١١٣-١١٤).

مهللين فرحين<sup>(٢٦)</sup>.

#### الخاتمة:

اتضح لنا \_ من خلال استعراض وتحليل كتاب: مصرع الخلافة العثمانية \_ أموراً عديدة، منها:

أن الكتاب استطاع توضيح أسباب أدت إلى مظالم بحق التاريخ العثماني، معوضاً بذلك عن الكتابات الكثيرة التي تغاضت عن هذه الوقائع.

وذكر الكتاب افتراءات ألصقت بالتاريخ العثماني، وتم تبيينها وتوضيحها بعد أن كانت عند كثيرين لا تقبل النقاش، مثل: نقل الفنانين ومهرة الصناعات من مصر وسوريا إلى اسطنبول، وسياسة التتريك، وأنها دولة لم تتعرب، وأن الباشا (الوالي) كان يُغَيَّر كل سنة في الولايات العربية، لذلك كان همه أن يجمع من المال والرشوة أكثر ما يمكن قبل انتهاء السنة.

وعالج الكتاب حال العرب قبيل مقدم العثمانيين إلى بلادهم، وهذه قضية مهمة جداً، توضح مقارنة مهمة تفضي إلى نتيجة مهمة، إذ السائد أن العثمانيين تسببوا بتخلف العرب وما يرتبط بذلك، فأجاب الكتاب عن حال العرب النتردي قبيل مقدم العثمانيين، وأن العثمانيين لم يكونوا مسؤولين عن ذلك.

ووقع مؤلف الكتاب بمغالطة مصطلحات: الفتح والاحتلال والحكم، فعد دخول العثمانيين إلى بلاد العرب فتحاً، مع أن مصطلح الفتح يطلق على الدخول إلى بلاد غير مسلمة.

وصوّر المؤرخ فهمي الشناوي هرم الدولة الإداري التنظيمي المتماسك، ورجالات الدولة الإداريين، وهذه قضية مهمة، لأنها تنعكس على باقي مناحي تنظيمات الدولة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية.

وشرح المؤلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية للدولة العثمانية، وازدهار الصناعة والتجارة والزراعة.

ونقلنا إلى الازدهار العلمي وأركانه من العلماء والمؤسسات الفكرية والعلوم النظرية والتطبيقية.

ولم ينس المؤلف أن يستعرض بعضاً من أسباب سقوط الدولة العثمانية، وهذه فقرة سنعالجها مع نهاية هذه الخاتمة.

وأشار إلى محاولة العثمانيين جمع كل أجناس المسلمين تحت رابطة واحدة لا يفرقهم عرق أو قومية أو وطنية، من خلال فكرة (الجامعة الإسلامية) للسلطان عبد الحميد، ومن خلال محاولة

(٢٦) (الشناوي، ١٩٩٥، صفحة ١١٧). عمل الإنكليز بالتحالف مع القوات العربية التي انضمت إليهم بقيادة فيصل بن الحسين على تخريب سكة الحجاز، ولا تزال هذا السكة معطلة إلى اليوم. (الصلابي، ٢٠٠١، الصفحات ٤٧٦-٤٨٠).

- أخرى لتوحيد ولم شمل المسلمين، وهي سكة حديد الحجاز.
- ولكن، ومما يؤخذ على الكتاب، الأمور الآتية:
- \_ العاطفة الشديدة الواضحة التي ظهرت على المؤلف، مما جعله يغيض النظر عن سلبيات وأخطاء وقعت فيها الدولة العثمانية.
- \_ عدم توضيحه عن أي قرن يتكلم، وهذا أمر كان يجب التمييز فيه، إذ إن الدولة العثمانية اختلفت أحوالها وأوضاعها من قرن إلى آخر.
- \_ ولو أخذنا حديث الكتاب عن أسباب سقوط الدولة العثمانية مثلاً لنقده، فسنجد أنه أهمل ذكر أسباب أخرى عديدة أدت إلى السقوط، ومنها:
- أنه في أوائل القرون الأخيرة للدولة العثمانية تألقت في آفاق أوروبا أنوار المعارف، وتدرجوا في المدنية، وظهرت الاختراعات العظيمة، التي كانت سبب ارتقائهم، واكتفت الدولة العثمانية بالاشتغال بالدفاع عن حوضها فقط، فصار الضعف يجزّ بعضه بعضاً في الشرق، وصارت القوة يزيد بعضها بعضاً في العرب، كما عبّر شكيب أرسلان.
- كما لخص المؤرخ التركي الشهير خليل إينالجيك أسباب السقوط بما يلي:
- العبء الكبير الذي أُلقي على الدولة العثمانية نتيجة الحروب مع إيران والنمسا.
  - فقدان العثمانيين السيطرة على ولايات شمال أفريقيا بعد خسارتهم للتفوق في المتوسط، فلم تعد الوحدات البحرية لطرابلس وتونس والجزائر تدخل ضمن الأسطول النظامي للسلطان.
  - قيام المسيحيين؛ أمراء مالطا وفرسان القديس ستيفان بتهديد حركة السفن العثمانية في شرق المتوسط، ثم انضم إلى هؤلاء قراصنة إنكلترا وهولندا، وهذا ما جعل السلطة العثمانية تؤمن بصعوبة بالغة المواصلات مع سوريا ومصر.
  - فقدان العثمانيين السيطرة على البحر الأسود الذي بدأت تجارته وموانئه العثمانية بالانحدار.
  - سيطرة الإنكليز والهولنديين على المحيط الهندي ومن ثم البحر الأحمر.
  - فقدان العثمانيين لطرق تجارية أساسية.
  - انتشار الاضطراب والفوضى والرشوة والاستغلال والتمرد والظلم والاضطهاد.
  - فساد المؤسسات التي كان أصلاً سبباً في قوة العثمانيين.
  - تراجع النظام المالي والضرائبي، ووصول الدولة إلى أزمة مالية.
  - تحلل المؤسسات الأساسية للإمبراطورية العثمانية تحت تأثير ظهور أوروبا الجديدة، إذ لم يتمكن العثمانيون من التكيف مع الظروف المتغيرة، وفشلوا في فهم مشاكل الاقتصاد الحديث.

## المراجع

١. ألبرت حوراني. (١٩٩٧). تاريخ الشعوب العربية. (كمال خولي، المترجمون) بيروت: نوفل للنشر.
٢. السلطان عبدالحميد. (١٩٨٨). مذكرات السلطان عبد الحميد. (محمد حرب، المترجمون) دمشق: دار القلم.
٣. بسام العسلي. (د.ت). فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني (المجلد ٥). دمشق: دار الفكر.
٤. توماس آرنولد. (١٩٤٧). الدعوة إلى الإسلام (المجلد ١). (حسن إبراهيم حسن، وآخرون، المترجمون) القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
٥. جمال الدين محمد بن منظور. (١٩٩٧). لسان العرب: ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، مج ١ (الإصدار ١). بيروت: دار صادر.
٦. ساطع الحصري. (١٩٦٠). البلاد العربية والدولة العثمانية (المجلد ٢). بيروت: دار العلم للملايين.
٧. على محمد الصلابي. (٢٠٠١). الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط. بورسعيد: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٨. فاضل بيات. (٢٠٠٣). دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني. بيروت: دار المدار الإسلامي.
٩. فهمي الشناوي. (١٩٩٥). مصرع الخلافة العثمانية. القاهرة: المختار الإسلامي.
١٠. مجموعة من الباحثين بإشراف أكمل الدين أوغلي. (١٩٩٩). الدولة العثمانية تاريخ وحضارة. (صالح السعداوي، المترجمون) اسطنبول: منظمة المؤتمر الإسلامي.
١١. محمد دهمان. (١٩٩٠). معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي: ، دمشق، ط١، ١٩٩٠. دمشق: دار الفكر.
١٢. محمد سعيد القاسمي، جمال الدين القاسمي، خليل العظم. (١٩٨٨). قاموس الصناعات الشامية (المجلد ١). (ظافر القاسمي) دمشق.
١٣. محمد سهيل طقوش. (١٩٩٥). العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة. بيروت: دار بيروت المحروسة.
١٤. موفق بني المرجة. (١٩٦٦). صحة الرجل المريض (المجلد ٨). د.م: دار البيارق.